

النص الكامل

مغامرات

شيرلوك هولمز

تأليف:
آرثر كونان دويل



عُصْبَةُ ذُوي
الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ



الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

المكتبة العربية

www.tipsclub.net

Amly

بالرسومات الأصلية



مغامرات

شيرلوك هولمز

(٣)

عُصْبَةُ ذَوِي الشعر الأحمر

نُشرت للمرة الأولى في صحيفة «سترااند» الشهرية
في عدد أيلول (سبتمبر) ١٨٩١

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسون



الأجيال

للترجمة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجراح الشهير الدكتور جوزيف بل، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جراحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطره إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

حقوق الطبع محفوظة للناسخ
شركة الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

الطبعة الأولى

٢٠٠٧

العنوان الإلكتروني للناشر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورثسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أماً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة قرمزية» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حل المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في

غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولما كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بد أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً موهباً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.

وفي عام ١٩٠٠
تطوع الدكتور دويل في
حرب البوير (في جنوب
إفريقيا) وصار كبيراً
للجراحين في واحد من
المستشفيات الميدانية،
وفي نهاية الحرب مُنح
وسام الفروسية ولقب
«سير» تقديراً لخدماته.
وقد أصدر بعد عودته



إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

* * *



شيرلوك هولمز وعالمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهر الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرة مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بل الذي درسه في كلية الطب. كان الدكتور بل يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومهنتهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرح من الجيش حديثاً، وقد عدت لتوك من بربادوس، وأنت تعاني من داء القيل". وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة

وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته وإطلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعدته الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو زاوية القصص الذي يقصها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠ وأمضى مدة خدمته في أفغانستان مع الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦، لكن دويل لم يشأ أن يعرفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية

على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحددها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨،



عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

* * *



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جفسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة قرمزية»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يكد يُحسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطدت شخصية هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١) بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقبولت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخ من باب الواسع، حيث صارت حديث المجتمع وشغل الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتي عشرة
نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم
ظهرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز» التي نُشرت
في اثنتي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول
(ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من
كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر
قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور
موريارتي الشرير عند شلالات رايشنباخ في سويسرا
وقد نُشرت هذه القصة (وعنوانها «المشكلة الأخيرة»)
في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف
الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف
اشتراك، ولكن دويل تمسك بموقفه، فقد شعر بأن
شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية.
ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على
«بعث» شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة
«مغامرة المنزل الخالي» التي نُشرت في مجلة «ستراند»
في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛
فقد تبين أنه لم يُقتل على الإطلاق، وفي تلك القصة
(المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من
الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد

التبت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق
في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت
عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا
ومجلة «كوليزز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس
عشاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير
مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز»
(التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون
الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة رواية
شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب عائلة باسكرفيل»،
وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى
نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك
هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت «سلسلة «الظهور الأخير» التي
تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين
أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر)
١٩١٣، ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب»
(١٩١٤/٩-١٩١٥/٥)، وهي أعظم روايات شيرلوك
هولمز كما يقول النقاد. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك
هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر
حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات
شيرلوك هولمز.



رسم شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عدد من الرسامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحب روايات هولمز وقصصه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي يُلَوِّر صورة شيرلوك هولمز وطبعها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسع ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصتي «جزيرة الكنز» و«روينسون كروزو»، لكن خطأ في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الست

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي «العالم المفقود»، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سماه «ذكريات ومغامرات».

* * *

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بأرثر كونان دويل لتصيح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت يرسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زينت ٣٨ قصة.

عُصْبَةُ ذَوِي الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسمامين آخرين، فشارك في رسم السلسلة الجديدة «الظهور الأخير» كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وأرثر تويدل وجليبرت هالدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة -وهي «قضايا شيرلوك هولمز»- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جليبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند»، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليزز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دور ستيل، ومنهم وه هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

* * *

قمت بزيارة صديقي شيرلوك هولمز في أحد أيام
الحريف من العام الماضي، فوجدته منهمكاً بالحديث
مع رجل بدين متقدم في السن متورد الوجه، وكان
يعطي رأسه شعراً أحمر نارياً اللون.

وكنت على وشك الانسحاب بعد أن اعتذرت
لطفلي حين جذبني هولمز بسرعة إلى الغرفة وأغلق
الباب قائلاً بوجهٍ لم تكن لتحضر في موعد أكثر ملاءمة
بأعززي وأطسون.

قلت: خشيت أن تكون مشغولاً.

وأنا بالفعل مشغول، مشغول تماماً.

إذن يمكنني الانتظار في الغرفة المجاورة.

قال يرد على ملاحظتي: لا حاجة لذلك على
الإطلاق.

ثم وجه حديثه إلى الرجل ذي الشعر الأحمر
قائلاً: هذا السيد المحترم - يا سيد ويلسون - هو
شريكى ومساعدى في العديد من القضايا الناجحة،
والذي أدى شئت في أنه سيكون ذا فائدة عظيمة

في قضيتك أيضاً.

عله

- وهو الأمر الذي منحت نفسي حرية الاعتراض

نعم، لقد فعلت يا دكتور. وبالرغم من ذلك
سحب عليك أن تقتنع برؤيتي، وإلا فسوف أظل أصعب
أمام الحقيقة تلو الأخرى حتى يتراجع منطقك أمام
نلك الحقائق وتعترف بأنني على حق حسناً، لقد
نكز السيد جانز ويلسون بريارتي هذا الصباح ليقص
عليّ حكاية تني بأنها واحدة من أعرب القضايا التي
استمعت إليها منذ مدة، ولا بد أنك قد سمعتني أعلق
على أن أعرب الأشياء وأكثرها تفرداً غالباً ما يرتبط
بالجرائم الكبيرة، وفي بعض الأحيان نجدها حيث قد
سُت في وجود جرائم فعلية قد ارتكبت، ولا يمكنني
أن أقرر حتى الآن مما سمعته عن القضية الحالية ما
إذا كانت قد تمثل جريمة أو لا، ولكن من المؤكد أن
محرر الأحداث من أعرب ما سمعته على الإطلاق.

ثم التفت إلى ضيفه قائلاً: قد نتكلم بإعادة
الحدث مرة أخرى يا سيد ويلسون، وأنا أطلب
منك ذلك ليس لمجرد أن صديقي الدكتور واطسون لم
يسمع بداية القصة، ولكن لأن الطبيعة الغريبة للقصة
تحتاج إلى متابعة لكل التفاصيل التي يمكن أن أسمعها
من شخص، فأنا في العادة أسترشد بالآلاف القضايا
التي تحظر على بالي عندما أسمع بعض

نهض الرجل البدين عن كرسيه في نصف وقفة
وهز رأسه مرحباً وفي عينيه اللتين يطوقهما الشحم
نظرة متسائلة.

قال هولمز وهو يرجع إلى الخلف في كرسيه
المريح ويضم أطراف أصابعه معاً كعادته عندما يكون
في حالة تأمل واستنتاج: اجلس على الأريكة يا عزيزي
واطسون، فأنا أعرف أنك تشاركني في حبي لكل
ما هو غريب ومخالف لعادة ورتابة روتين الحياة
اليومية، وقد أظهرت شغفك بهذا كله عن طريق
الحماسة التي حقّك على تسجيل. أو اسمح لي بأن
أقول: زخرفة الكثير من مغامراتي.

قلت: قضاياك تثير اهتمامي بشكل كبير.

- أتذكر أنني أشرت مباشرة قبل أن نبدأ العمل
في القضية التي قدمتها الآنسة ماري ستولاند إلى أن
ينبغي أن نلجأ إلى البحث في الحياة نفسها لكي نفهم
الوقائع الغريبة والأحداث المرعبة الاستثنائية، حيث
سنجد دائماً ما هو أكثر حراً من أي محاولة من
محاولات الخيال؛ سجد في الحياة نفسها من الوقائع
الغريبة والأحداث المرعبة الاستثنائية ما يتفوق على
أكثر محاولات الخيال جرأة.

الإشارات البسيطة لسير الأحداث، وإن كنت مضطراً في المثال الموهود حالياً إلى أن أعترف أن الوقائع -على ما أعتقد- فريدة من نوعها.

نفخ عميلنا الحليل صدره مُظهراً بعض الكبرياء وسحب جريدة متسخة محققة من الجيب الداخلي لمعطفه الثقيل، وبينما هو ينظر إلى عمود الإعلانات والصحيفة مبسوطة على ركبته أخذت أنفخه، وسعيت -مستخدماً طريقة رفيقي- إلى قراءة الإشارات التي قد تظهر من مظهره أو ملبسه.



Sydney Paget 1891

رسم سدني باجيت ١٨٩١

لكنني لم أحصل على الكثير من المعلومات سمخسي للزائر. إنه يحمل كل ما يدل على أنه تاجر إنكليزي عادي، فهو سمين ومتماحر وممل ويرتدي سطلاً واسعاً من القماش الصوفي ذي المرتعات الرمادية والبيضاء، وسترة سوداء تصل إلى الركبة غير مزورة من الأمام، وصدرية قاتمة مزينة بسلسلة نحاسية ثقيلة تتدلى كحلية، وتعلو رأسه فتعة رسمية نالية، وكان على الكرسي المحاور معطف ذو لون بني باهت وياقة مخملية محققة. ومهما حاولت فلم ألحظ شيئاً يميز الرجل فيما عدا لون شعره الأحمر المتوهج وبعبير الارعاح وعدم الرضا المرتسم على وجهه

استطاع هولمز بحدّة ملاحظته أن يفهم ما شعلي، فهُزّ رأسه متسماً حين لاحظ نظراتي المساننة وقال أنا لم أستطع أن أستشع شيئاً -با- مني سوى الحقائق الواضحة التي تُظهر أن السيد -أ- قد عمل لبعض الوقت في الأعمال اليدوية، وأنه -ب- في اصين، وقد قام بالكثير من الكتابة مؤخراً.

فقرّ السيد حابز ويلسون في كرسيه وسبّابه على -أ- مدحقه في حين كانت عيناه على رفيقي وهتف قائلاً: يا -أ- كيف عرفت كل ذلك يا سيد هولمز؟! مثلاً -ب- عرف أنسي كنت أقوم بعمل يدوي؟ إن ما قلته -ج- تماماً، فقد بدأت العمل نجاراً للسفن.

- يداك يا سيدي العزيز... إن يدك اليمنى أكر
من يدك اليسرى، فقد كنت تعمل بها فتمت عضلاتها
شكل أكبر.

- حسناً، وماذا عن الكتابة؟

- لقد بلي طرف اليمين جداً لمسافة خمس
بوصات عند المعصم، واليسر فيه رقعة ملساء بالقرب
من الكوع في المكان الذي تستد به إلى المكتب

- حسناً، والصين؟

- شكل السمكة الذي وشمته فوق معصمك
اليمين مباشرة لا يمكن عمله إلا في الصين، فقد قمت
بدراسة بسيطة لأشكال الوشم، بل ساهمت بالكتابة في
الموضوع، وهذه المهارة في صبغ حراشف الأسماك
باللون الوردي تميز الصين، وبالإضافة إلى ذلك
فعندما رأيت عملة صينية معلقة في سلسلة الساعة
أصبح الأمر أكثر سهولة.

ضحك السيد جابز ويلسون بحرارة فقال:
حسناً، لم أتخيل هذا قط! لقد اعتقدت في البداية
أنك قمت بعمل ماهر، ولكنني أرى الآن أن الأمر كن
بسيطاً.

قال هولمز: أظن يا واطسون أن من الخطأ أن

أقوم بالشرح، فالجهل بالشيء يجعله أكثر روعة كما
نعرف، وسوف تصيح سمعتي المتواضعة إذا التزمت
الصراحة ألا تستطيع العثور على الإعلان يا سيد
ويلسون؟

أجابه وإصبعه السمين الأحمر مثبت على
مصف أحد الأعمدة في الصحيفة: بلى، لقد وجدته
الآن ها هو، كان هذا هو بداية كل شيء. اقرأه
بفسك يا سيدي.

أخذت الصحيفة منه وقرأت ما يلي:

تعلن «جماعة ذوي الشعر الأحمر» أنه -بناء
على وصية الراحل إزيكيا هونكر من بنسلفانيا
بولايات المتحدة- يوجد الآن موقع عمل
شاغر براتب قدره أربعة جنيهات أسبوعياً مقابل
خدمات بسيطة. أي رجل ذي شعر أحمر يتمتع
بسلامة الجسم والعقل ويزيد عمره عن واحد
وعشرين عاماً مؤهلاً لهذه الوظيفة، وعليه
التقدم بالطلب شخصياً إلى دنكان روس في
مقر الجماعة بالمبنى رقم ٧ في شارع المحكمة
المتفرع من شارع فليت، في الساعة الحادية
عشرة من يوم الإثنين.

صحت قائلاً بعد أن قرأت الإعلان الغريب

مرتين: ما معنى هذا؟!

إنها صحيفة «كروكل» الصحاحية، وتاريخها هو السابع والعشرون من نيسان (أبريل) عام ١٨٩٠، أي منذ شهرين.

- جيّد جداً، والآن تفضّل يا سيد ويلسون.

قال السيد جابز ويلسون وهو يمسح جبينه: حسناً، الأمر كما كنت أقول لك تماماً يا سيد هولمز؛ أنا أعمل سمسارَ رهونات وأملك مكتباً صغيراً في ميدان كويبورغ بالقرب من المدينة. إنه ليس عملاً تجارياً واسعاً، كما أنه لم يدرّ عليّ في الأعوام الأخيرة إلا ما يكفي لمعيشتي، وقد كنت معتاداً على توظيف مساعدتين، أمّا الآن فأنا غير قادر إلا على إبقاء واحد فقط، ولولا أنه موافق على تقاضي نصف الأجر حتى يتعلم المهنة لكنت واجهت مشقة في دفع أجره.

سأل هولمز قائلاً: ما اسم هذا الشاب الخدم؟

- اسمه فئسنت سبولدينغ، وهو ليس شاباً صغيراً أيضاً ومن الصعب تخمين سته، كما أنني لم أكن أتمنى مساعداً أكثر منه ذكاء يا سيد هولمز، وأنا أعرف تماماً أن بإمكانه أن يحصل على فرصة أفضل، وعدّها سيكسب ضعف المبلغ الذي أستطيع محه إياه. ولكنه راضٍ رعم كل شيء، فلماذا أشغعه على شيء آخر؟

فهقه هولمز وتلملم في كرسيه كعادته عندما تكون معنوياته مرتفعة وقال الأمر خارج عن المألوف، أليس كذلك؟ والآن يا سيد ويلسون، اترك هذا الأمر وعُدْ إلى البداية لتخبرنا بكل شيء عنك وعن الأفراد المقيمين في منزلك وعن تأثير هذا الإعلان على ثروتك. أرحو - يا دكتور واطسون - أن تسجل أولاً ملاحظة عن الصحيفة وتاريخها.



Sydney Paget 1891

رسم سدني باجيت ١٨٩١

- نعم، صحيح، لماذا؟ يبدو أنك محظوظ جداً
لتحظى بموظف يرضى بالعمل بأجر أقل من الأجر
المتعارف عليه، فهذا ليس أمراً شائعاً بين أرباب
العمل في هذا العصر، وأعتقد أن مساعدك حدير
بالملاحظة كإعلانك تماماً.

قال السيد ويلسون. آه، إن له عيوبه أيضاً؛ فلم
أز شخصاً في مثل حماسه للتصوير الضوئي، حتى
إنه يضع وقته في النقاط الصور في الوقت الذي يجب
عليه أن يعمل فيه على تحسين تفكيره. وبعد ذلك
يختفي في القو الأسفل لتحميم الصور كالأرنب
في جحره! هذا عيبه الرئيسي، ولكنه - إجمالاً - عامل
جيد ولا تشوبه شائبة.

- هل أترض أنه ما يزال يعمل معك؟

أجاب الرجل: نعم يا سيدي، بالإضافة إلى فتاة
صغيرة في نحو الرابعة عشرة من العمر تقوم ببعض
الطبخ البسيط وتُقي المكان نظيفاً، وهما الوحيدان
الموجودان في منزلي، حيث إنني أرمل ولم أحظ
بعائلة قط ثلاثتنا نعيش بشكل هادئ جداً حيث
نحافظ على وجود سقف فوق رؤوسنا وبدفع ديوننا،
وهذا كافٍ حتى لو لم نفعل أي شيء آخر.

لقد كان هذا الإعلان هو أول ما أزعجنا، حيث

حاء مساعدتي إلى المكتب في مثل هذا اليوم منذ ثمانية
أسابيع وفي يده هذه الصحيفة نفسها وقال. كم كنت
المتى لو كان شعري أحمر اللون يا سيد ويلسون!

سألته: لماذا؟

قال: لماذا؟ ها هي وظيفة أخرى شاغرة مع
جماعة ذوي الشعر الأحمر، وهذا يعني ثروة صغيرة
لن يحظى بتلك الوظيفة. وقد عرفت أن الوظائف



Sydney Paget 1891

سدي ماجيت ١٨٩١

الشاعرة أكثر من الأشخاص المناسبين، ولذلك فإن الأوصياء على الثروة لا يعرفون ماذا يفعلون بالمال! لو أن لون شعري يتحول إلى الأحمر لكانت أمامي وظيفة لطيفة جاهزة تماماً لألتحق بها.

سألته قائلاً: لماذا؟ ما الأمر إذن؟

حيث إنني - يا سيد هولمز - رجل محب للزوم البيت، بالإضافة إلى أن عملي يأتي إليّ بدلاً من اضطراري إلى الخروج إليه، فقد تمرّ الأسابيع دون أن أطأ عتبة البيت، ولذلك فأنا لا أعرف الكثير عما يجري في الخارج وأسعد دائماً بأي خبر.

سألني بدهشة: ألم تسمع قط بجماعة ذوي الشعر الأحمر؟

قلت: مطلقاً.

قال: هذا أمر مثير للعجب، ومع ذلك فأنت مؤهل لإحدى الوظائف الشاغرة.

سألته قائلاً: وكم يدفعون؟

- مثني جنيه، ولكن العمل لا يتعارض كثيراً مع أشغال المرأة الأخرى.

حسناً، يمكنك بسهولة أن تتخيل كيف أن هذا

الأمر قد حذب انتباهي، فعملي لم يكن يسير بشكل جيد جداً لعدة سنوات، وسوف يكون هذا المبلغ مفيداً جداً. قلت: أخبرني عن الأمر إذن.

قال: حسناً.

ثم عرض عليّ الإعلان وقال: يمكنك أن ترى سميت أن لدى الجماعة وظيفة شاغرة، وها هو العنوان حيث يمكنك تقديم بيانك. وحسبما أعرف فقد أسست هذه الجماعة على يد المليونير الأمريكي إريك هوبكنز الذي كان يتميز بالغربة في سلوكه، كما أنه كان أحمر الشعر، ولذلك تعاطف مع كل ذوي الشعر الأحمر من الرجال، فعندما مات اكتشفوا أنه قد ترك ثروته الهائلة في عهدة أوصياء عليها، وكانت تعليماته أن يختصص العائد لتوفير عمل سهل للرجال من ذوي الشعر الأحمر، وهكذا فالأجر رائع والعمل بسيط.

سألته: ولكن سيكون هناك الملايين من ذوي الشعر الأحمر الذين سوف يقدمون أوراقهم

أحاب قائلاً: ليس بالعدد الكبير الذي تصوره، فالأمر مقتصر على الرجال الكبار من أهل لندن خاصة، بدأ هذا الأمريكي حياته من لندن عندما كان شاباً فأراد أن يرد الجميل إلى المدينة القديمة، بالإضافة

إلى أني سمعت بعدم فائدة التقديم إذا كان لون الشعر أحمر فاتحاً أو داكناً، بل يجب أن يكون لونه أحمر زاهياً متوهجاً. إذا تقدّمت إلى الوظيفة يا سيد ويلسون فسوف تُقبَل بسهولة، ولكن ربما لا يستحق الأمر أن تبذل جهدك وتغيّر عاداتك لتحصل على محرّر بضعة مئات من الدولارات.

والحقيقة - يا سيد هولمز - أن شعري ذو لون صارح كما ترى، ولذلك بدا لي أنه لو كان على هذا الأمر أي تنافس فإن فرصتي أفضل من أي شخص قبلته، وبما أن سولدنج كان يعرف الكثير عن الموضوع فقد فكرت في أنه قد يكون مفيداً، فأمرته بأن يعلق المكتب ويأتي معي، وقد كان سعيداً بأن يأخذ استراحة من العمل... وهكذا أعلقت أبواب العمل واتجهنا إلى العنوان المكتوب بالإعلان.

كان المطر الذي رأيته مظراً لا أتمنى رؤيته مرة ثانية في حياتي، فقد تدفّق كل من يميل لون شعره إلى الاحمرار من كل صوب وحذب إلى المدينة ليحيوا على الإعلان، واختنق شارع فليت بأناس من ذوي الشعر الأحمر حتى بدا كعربة الخضري المملوءة بالبرتقال! لم أكن أعتقد بوجود مثل هذا العدد الكبير من ذوي الشعر الأحمر في البلاد كلها لولا أنهم قد اجتمعوا كلهم بسبب هذا الإعلان الوحيد! كان هناك

كل درحات اللون من الأصفر في لون التبن والأصفر السموي والبرتقالي والأحمر في لون شعر كلب الصيد الأيرلندي والسي المائل إلى الحمرة والبي في لون الصنصال. ولكن - كما قال سبولدنج لم يكن هناك الكثير من ذوي الشعر الأحمر الزاهي المشتعل.

عندما رأيت الأعداد التي تنظر انتابني اليأس وندب أنستسلم، لولا أن سبولدنج لم يسمح لي بذلك، ولا أستطيع حتى الآن أن أتخيل كيف استطاع أن يمرّ بي عبر الزحام حيث أخذ يدفع الناس ويشدهم ويطلق معهم حتى وصلنا إلى الدّرج الذي يقود إلى البيت حيث كانت مجموعات من الناس، فلبعضهم بعد نحدوه الأمل، والبعض ينزل عائداً في كآبة، وأحد شقّ طريقنا قدر استطاعتنا حتى وجدنا أفسنا مرهما في المكتب.

على هولمز عندما صمت عميلنا ليعيش ذاكرته: «أنا بحزنك مسئلة للغاية، أرجو أن تكمل روايتك المشيرة للاهتمام».

أكمل عميلنا قائلاً: لم يكن في المكتب شيء إلا دسان خشبيان وطاولة جلس خلفها رجل ضئيل الشعر أكثر احمراراً من شعري! قال الرجل بضعة كلمات لكل مرشح كان يصعد، وقد تمكن دائماً من على بعض العيوب التي تقضي بعدم أهلية كل

مرتين بشعر مستعار ومرة بصيغ الشعرا يمكنني
إحداك قصصاً ستجعلك تشعر بالاشمئزاز من الطبيعة
الشريفة.

ثم ذهب إلى النافذة وصرخ منها قائلاً بأعلى
صوته لقد شغلت الوظيفة الشاعرة.

فسمعنا أنيناً محطاً صادراً من أسفل، وبدأ
الناس يتحركون في كل اتجاه متعددين حتى لم يَر أحدُ



Sydney Paget 1891

م سديني باجيت ١٨٩١

مهم، وقد بدا وكأن الحصول على الوظيفة الشاعرة
ليس بالأمر السهل رغم كل شيء. على أية حال،
فعندما جاء دورنا عاملني الرجل الضئيل بطريقة أفضل
من تعامله مع أي من الآخرين، وأغلق الباب حين
دخلنا ليكلمنا على انفراد.

قال مساعدتي: هذا هو السيد جايز ويلسون،
وهو يرغب في الحصول على الوظيفة الشاعرة في
الجماعة.

أحابب الآخر: وهو مناسب لذلك تماماً، فهو
يملك كل المتطلبات، حتى إنني لا أذكر متى رأيت
شيئاً بمثل هذا النقاء!

ثم تراجع خطوة إلى الخلف وراح يحذق
إليّ حتى شعرت بالخلخل، وفجأة مال إلى الأمام
وشدّ على يدي بحرارة وهو يهتسي بنجاحي! قال:
سيكون من المحفف أن أتردد، كما أنني متأكد من
أبك ستعذرني على أية حال لاتحاد إجراء احتياطي
واصح.

قال هذا وأمسك شعري بكلتا يديه وشدّه حتى
صرحت من الألم! ثم قال وهو يتركه: في عينيك
دموع. أدرك الآن أن كل شيء كما ينبغي أن يكون،
ولكن يجب علينا أن نحترس حيث خدعنا من قبل

بشعر أحمر ما عداي أنا والمدير.

قال: اسمي هو دنكان روس، وأنا نفسي أحد المستفيدين من المسحة التي تركها محسننا الكريم. هل أنت متزوج يا سيد ويلسون؟ أليس كذلك؟

أجبت بالنفي، فتغير وجهه على الفور وقال باكتئاب: يا إلهي، هذا خطر حاد بالفعل! أنا أسف لسماع ذلك، فالتمويل هو بالطبع لزيادة أعداد ذوي الشعر الأحمر وتكاثرهم. من سوء الحظ جداً أن تكون عزيزاً.

ارتسمت ملامح الكآبة على وجهي عند سماعي ذلك يا سيد هولمز، حيث اعتقدت أنني غير مؤهل لتلك الوظيفة، ولكنه قال بعد أن فكر في الأمر لعدة دقائق: سيكون كل شيء على ما يرام لو أن الأمر يخص شخصاً آخر لكن الاعتراض محتوماً، ولكن يجب أن تتمتع ببعض المرونة في سبيل مصلحة شخص له مثل شرك. متى ستمكن من أداء مهامك الجديدة؟

قلت: في الأمر بعض الصعوبة حيث إن لدي عملاً آخر بالفعل.

قال فنسنت سبولدنغ لا تهتم بهذا الأمر يا سيد ويلسون، بإمكانك الاعتناء بأمور العمل من أجلك

فسألت قائلاً: ما ساعات العمل؟

- من العاشرة إلى الثانية.

غالباً ما يكون عمل سمسار الرهانات في المساء يا سيد هولمز، ولا سيما مساء يومي الخميس والجمعة، أي قبل يوم القبض مباشرة. ولذلك بدا من المناسب لي تماماً أن أكسب القليل من المال في الصباح، فأنا أعلم أن مساعدتي رحل صالح وأنه ستطيع معالجة أي طارئ في العمل.

قلت: هذا يناسبني جداً. وماذا عن الراتب؟

- أربعة جنيهات في الأسبوع.

- والعمل؟

عمل بسيط للغاية.

- وما العمل الذي تدعوه بسيطاً للغاية؟

- حسناً، يجب أن تبقى في المكتب، أو على الأقل في المسى، الوقت كله. أما إذا خرجت فسوف نحسر وظيفتك إلى الأبد، فالوصية واضحة جداً فيما سألني بهذا الأمر، وهكذا فإن خرجت من المكتب خلال هذا الوقت تكون قد خالفت الشروط.

قلت: لن أفكر في المغادرة، فالأمر يقتصر على

أربع ساعات بالنهار.

قال السيد دونكان روس: والأعداد غير مقبولة،
لا المرض ولا العمل أو أي شيء آخر، فيجب أن نظل
هناك وإلا فقدت وظيفتك.

- وما طبيعة العمل؟

- عليك أن تنسخ الموسوعة البريطانية، وسوف
تجد المجلد الأول منها في تلك الخزانة عليك إحضار
الجبر والأقلام والأوراق الشفافة، ولكن بإمكاننا توفير
هذه الطاولة لك بالإضافة إلى كرسي هل ستكون
مستعداً غداً؟

أجبت قائلاً: بالتأكيد.

- إلى اللقاء إذن يا سيد ويلسون، واسمح لي
بأن أهنئك مرة أخرى على المركز المهم الذي حالفك
الحظ لتشغله.

ثم انحنى لي، فخرجت من الغرفة وذهبت إلى
المزول مع مساعدي وقد تملكنتي السعادة بسبب حسن
حظي حتى أصبحت لا أعرف ماذا أقول أو أفعل!

فكرت في الأمر طوال النهار، وبحلول المساء
كانت معنوياتي قد انخفضت ثانية حيث كنت قد
أقعت نفسي بأن الأمر لا يعدو أن يكون حدة أو

احتياجاً، بالرغم من أنني لم أستطع تحديد الهدف منه.
فقد بدا من غير المعقول أن يقوم شخص ما بكتابة
مثل هذه الوصية أو بدفع مثل هذا المبلغ لقاء عمل
في ساطعة نسخ الموسوعة. وقد بذل سبولديغ جهده
لسحبي، ولكن بحلول وقت اليوم كنت قد أقنعت
نفسي بأن الأمر كله لا أساس له، وإن كنت قد قررت
في الصباح أن ألقي نظرة على الأمر على أية حال،
فاشريت زجاجة من الحبر وقلماً وكمية من الأوراق
الكبيرة ثم اتجهت إلى المكتب.

حسناً، لدهشتي وسعادي كان كل شيء كما
سعي أن يكون، وقد أعدت الطاولة من أجلي، وكان
السيد دونكان روس هناك ليتأكد من وصولي إلى
العمل في الوقت المحدد وقد ساعدني حتى بدأت في
العمل ثم تركني، ولكنه كان يحضر من وقت إلى آخر
لتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام. وفي الساعة
الثانية تمت لي يوماً سعيداً وأثنى على القدر الكبير
الذي سخته من الموسوعة، ثم أغلق باب المكتب
بعد خروجي.

استمر الأمر على هذا المنوال يوماً بعد يوم
يا سيد هولمز، وفي يوم السبت جاء المدير ودفع لي
أربعة حبيبات ذهبية لقاء عمل الأسبوع ثم تكرر الأمر
نفسه في الأسبوع التالي، ثم في الأسبوع الذي تلاه.

المقتضب والوجه الحزين للرجل، حتى تغلب
الحب الهزلي للموقف تماماً على أية اعتبارات أخرى
فامحرننا في عاصفة من الضحك صاح عميلنا وقد
احقر وجهه حتى جذور شعره المتوهج: لا أرى
في الأمر ما يدعو إلى الضحك! إذا لم يكن بإمكانكما



Sydney Paget 1891

١٨٩١ ي. باجيت

كنت أذهب إلى هناك في العاشرة صباحاً وأنصرف في
الثانية من بعد الظهر، وبالتدريج اعتاد السيد دونكان
المجيء مرة واحدة في الصباح، ثم بعد فترة توقف
عن المجيء كلياً، وبالرغم من ذلك فلم أحرز بالطبع
على معادرة الغرفة ولو للحظة خوفاً من قدومه؛
فقد كانت الوظيفة جيدة ومناسبة لي جداً، ولذلك لم
أرغب في أن أخاطر وأخسرهما.

مرت أسابيع ثمانية بالنظام ذاته، وكففتني ذلك
الكثير من الورق الكبير وملأت بكتاباتي ما يقارب
الرّف... ثم فجأة انتهى الأمر كله!

- انتهى ١٩

- نعم يا سيدي، وقد حدث الأمر هذا الصباح
حين ذهبت إلى عملي في العاشرة صباحاً كالمعتاد،
ولكن كان الباب مغلقاً وهناك قطعة مربعة صغيرة من
الورق المقوى الأبيض مثبتة بمسمار في وسط إطار
الباب. ها هي، يمكنك قراءتها بنفسك.

رفع قطعة من الورق المقوى الأبيض في حجم
ورقة المفكرة، وكان المكتوب فيها كالتالي: «حُلّت
جماعة ذوي الشعر الأحمر في التاسع من تشرين
الأول (أكتوبر) عام ١٨٩٠».

فحصت أنا وشيرلوك هولمز هذا الإعلان

عمل شيء هذا السخرية متي فيمكنني أن أذهب إلى مكان آخر.

صاح هولمز وهو يعيده إلى الكرسي الذي هم بالقيام عنه قائلاً: لا، لا، أنا حقاً لا أريد أن أفوت قضيتك مهما كان الثمن، فهي غريبة بشكل منعش. ولكن اعدوني إن قلت لك إن فيها بعض الطرافة. أرجوك قل لي: ما هي الخطوات التي قمت بها بعدما اكتشفت البطاقة على الباب؟

قال: لقد صُدمت يا سيدي ولم أعرف ماذا أفعل، ثم قمت بزيارة المكاتب المجاورة، ولكن لم يبدُ أن أيًا منهم يعرف أي شيء عن الأمر. وأخيراً ذهبت إلى صاحب المبنى، وهو محاسب يعيش في الطابق الأرضي، وسألته عما إذا كان يستطيع إخباري بما حلَّ بجماعة ذوي الشعر الأحمر، فقال إنه لم يسمع بهذا الاسم من قبل! وعندها سألته عن من يكون السيد دونكان روس فأجابني بأن هذا الاسم جديد عليه!

قلت: حسناً، ماذا عن السيد في المكتب رقم أربعة؟

- من؟ الرجل ذو الشعر الأحمر؟

- نعم.

قال: آه، اسمه ويليم موريس، وهو محام كان يسافر إحدى الغرف عندي كاستراحة مؤقتة حتى يجهز مبناه الجديد، وقد انتقل أمس

- أين يمكنني أن أجده؟

في مكتبه الجديد، لقد أخبرني بالعنوان. ١٧ شارع الملك إدوارد بالقرب من كنيسة سينت بول.

انطلقت يا سيد هولمز، ولكن عندما وصلت إلى ذلك العنوان وجدت أنه مصنع للركب الصناعية، ولم أجد هناك من سمع بالسيد ويليم موريس أو السيد دونكان روس!

سأل هولمز قائلاً: وماذا فعلت عندها؟

ذهبت إلى منزلي بمدينة كوبيورغ وسألته مساعدتي الصبيحة، ولكنه لم يساعدني بأية طريقة ولم يستطيع إلا أن يقول لي إنني لو انتظرت فسوف أسمع أخباراً عن الأمر بالبريد ولكن هذا الاقتراح لم يكن مدداً بما فيه الكفاية يا سيد هولمز، فلم أرفع بأن اسم مثل تلك الوظيفة دون مقاومة، ولذلك جئت إليك مباشرة لأنني سمعت أنك تتكرم بإسداء الصبيحة التي من يحتاجها من الفقراء.

قال هولمز: وقد تصرفت بحكمة شديدة،

ففضيلتك مميزة جداً وسأكون سعيداً بالبحث فيها، واستنتاجاً مما أخبرني أعتقد أن من الممكن أنها تتعلق بأمور أكثر خطورة مما يظهر للوهلة الأولى

قال السيد جابر ويلسون: الأمر خطير بما فيه الكفاية، فقد فقدت أربعة حنيهاً في الأسبوع

علّق هولمز قائلاً: أما فيما يتعلق بك شخصياً فلا أرى أنك تملك أساساً لأي شكوى ضد هذه الجماعة غير العادية، بل على العكس فقد أصبحت أغنى بمقدار ثلاثين جنيناً كما فهمت، هذا إذا لم نأخذ في الاعتبار المعلومات الدقيقة التي اكتسبتها من كل الموضوعات التي نسختها. وهكذا فأنت لم تخسر شيئاً بسببهم.

- نعم سيدي، ولكنني أريد أن أكتشف المزيد عن هذه الجماعة وأعرف من هم أصحابها وماذا كان هدفهم من هذه المزحة.. لو كانت مزحة، فقد كانت مزحة مكلفة جداً بالنسبة إليهم إذ كلفتهم اثنين وثلاثين جنيناً.

- سنسعى إلى توضيح هذه النقاط من أجلك، ولكنني سأسألك أولاً بعض الأسئلة يا سيد ويلسون منذ متى يعمل معك ذلك المساعد الذي لفت انتباهك إلى الإعلان في البداية؟

- شهر في ذلك الوقت.

- وكيف جاء إليك؟

- رداً على أحد الإعلانات.

- هل كان المتقدم الوحيد؟

- لا، لقد تقدّم لي عدد من الناس.

- ولماذا اخترته من بينهم؟

- لأنه كان بارعاً، كما أنه يعمل بأجر زهيد.

- بل بصف الأجر في الحقيقة.

- أجل.

- ما شكله، هذا المدعو فنست سولدنغ؟

- ضئيل حليق الوجه قوي البنية حركاته سريعة

حد، وعمره لا يقل عن الثلاثين، وعلى وجهه بعض الآثار البيضاء من أثر حرق قديم.

استقام هولمز في جلسته في أفعال واضح وقال:

هذا ما طسته. وهل لاحظت أن أذنيه مثقوبتان؟

- نعم يا سيدي، وقد قال لي إن أحد الغجر قد

نقهما له وهو صبي.

سأماً كما يصعب تمييز الوجه ذي الملامح العادية.
حسناً، عليّ الآن أن أسرع في حل هذه القضية

سألته قائلاً: ما الذي ستفعله إذن؟

أجاب. العلويون أولاً، فهذه القضية تستوجب
تدخين العلويون ثلاث مرات، وأرجو منك أن لا
تحدث إليّ لمدة خمسين دقيقة.

تكوّر هولمز في كرسيه وركبته النحيلتان
مسحوبتان حتى أنفه المعقوف، وقد جلس مغلق



Sydney Paget 1891

سم سدي باجيت ١٨٩١

قال هولمز وهو يعرق ثانية في صمت عميق. هل
ما زال يعمل عندك؟

- نعم يا سيدي، فقد تركته للتو.

- وهل كان عملك يسير بشكل جيد في أثناء
غيابك؟

- ليس فيه ما يدعو إلى الشكوى، فالعمل أصلاً
خفيف جداً في فترة الصباح.

- يكفي هذا يا سيد ويلسون، وسأكون سعيداً
بإعطائك رأياً بخصوص الموضوع خلال يوم أو اثنين.
اليوم هو السبت، وأتمنى أن نصل إلى نتيجة بحلول
يوم الإثنين.

* * *

قال هولمز عند انصراف الضيف: حسناً يا
واطسون، ما الذي استنتجته من كل ما سمعت؟

أجبهته بصراحة: لم أستنتج شيئاً؛ الأمر في غاية
الغموض.

قال هولمز: القاعدة تشير إلى أن أكثر الأشياء
غرامة يثبت فيما بعد أنها أقلها غموضاً، وأن القضايا
العادية غير المميزة هي الأكثر إثارة للحيرة في الحقيقة،

العينين وعلبونه الأسود بارز إلى الخارج كمنقار طائر غريب، وحين ظننت أنه قد نعس (وبدا رأسي يميل في الحقيقة من النعاس) هبّ واقفاً فجأة من كرسيه في إشارة تدل على أن رأيه قد استقرّ على شيء، ثم وضع العليون على رف المدفأة والتفت إليّ قائلاً: سيعزف ساراسيت في قاعة سينت جيمس بعد ظهر هذا اليوم، فماذا تعتقد يا واطسون؟ أيمكن لمرضاك أن يتركوك لعدة ساعات؟

ليس لديّ ما أفعله اليوم، فعيادتي لا تستغرق أبداً الكثير من وقتي.

- فلتربد إذن قمتك وتأت معي، فأنا سأذهب إلى وسط المدينة أولاً، ويمكننا أن نتناول العشاء في الطريق ألاحظ وجود الكثير من الموسيقى الألمانية في البرنامج، وهي تلائم ذوقي أكثر من الموسيقى الإيطالية أو الفرنسية، فالموسيقى الألمانية تدفع المرء إلى فحص أفكاره ودوافعه، وهذا ما أريد أن أفعله هيتا بما.

ركبنا بمترو الأنفاق حتى وصلنا إلى آلدرشغيت، ثم قطعنا مسافة قصيرة على الأقدام إلى ميدان كوبورغ، وهو مسرح الأحداث التي استمعنا إليها هذا الصباح. وهو مكان ضيق صغير وتقليد رديء للأماكن الراقية، حيث تطلّ أربعة صفوف من المنازل الحجرية الكثيرة

دات الطابقين على مساحة فسيحة صغيرة تنمو فيها مروج من الأعشاب القسيحة ومجموعات قليلة من أشجار الغار الباهتة التي تقاوم بضراوة المتأخ غير الملانم والمشيّع بالدخان، في حين أرشدتنا لافتة من ثلاث كرات ذهبية ولوح بني مكتوب عليه بحروف بيضاء «جابرز ويلسون» موجودة على بيت في الزاوية إلى المكان الذي يزاول فيه عميلنا ذو الشعر الأحمر عمله

توقّف شيرلوك هولمز أمامه ورأسه مائل إلى أحد الحوانب وأخذ يتفحصه كله وعينه تلمعان بشدة بين حقونه المتفخضة، وبعدها سار ببطء إلى أعلى الشارع، ثم عاد ثانية إلى الزاوية وهو ما يزال ينظر إلى المنازل بحدة، وأخيراً عاد إلى محل سمسار الرهانات. وبعد أن دقّ بعصاه على الرصيف مرتين أو ثلاثاً ذهب إلى اسب وطرقه، ففتحه في الحال شاب حليق لامع المظهر وأذن له بالدخول.

قال هولمز: شكراً لك. كنت أودّ أن أسأل كيف يمكن الذهاب من هنا إلى شارع ستراند.

أجاب المساعد بسرعة: ادخل من الشارع الثالث إلى يمينك، وبعدها ادخل إلى الرابع إلى يسارك

ثم أغلق الباب، فعلق هولمز قائلاً بينما كنا

صلى كبير في لغز جماعة ذوي الشعر الأحمر، وأنا
سأكد من أنك سألت عن الطريق فقط حتى تراه.

- ليس هو.

- ماذا إذن؟

- ركبتي بنطاله.

- وماذا رأيت؟

- رأيت ما توقعت أن أراه

- ولماذا طرقت على الرصيف؟

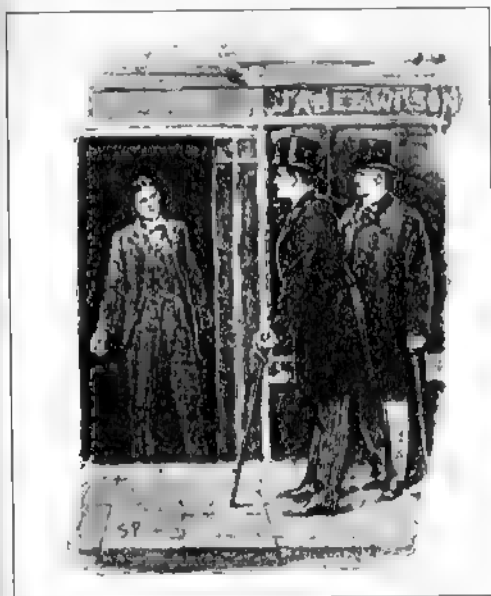
- أيها الدكتور العزيز، هذا وقت الملاحظة

وبس وقت الكلام، فنحن الآن جاسوسان في بلاد
الأعداء. نحن نعرف شيئاً عن ميدان كوبورغ، فدعنا
الآن نستكشف الأجزاء التي تقع خلفه.

كان الشارع الذي وجدنا أنفسنا فيه عندما اعطفنا
عد زاوية ميدان كوبورغ المنعزل على القيص تماماً
من الميدان مثل اختلاف وجه الصورة عن ظهرها؛
فند كان أحد الطرق الرئيسية التي تنقل حركة المرور
من المدينة إلى الغرب والشمال. كان الطريق مسدوداً
سبل من العربات المتدفقة في تيار متحه إلى الخارج
واحر إلى الداخل، في حين اكتسى ممر المشاة بحشد

نبتعد. شخص دكي. إنه - طبقاً لحكمي - رابع أذكى
رجل في لندن، وقد أتحرراً وأقول إنني غير متأكد من
أنه قد يكون الأحق بالمركز الثالث، فأنا أعرف عنه
من قبل.

قلت: هذا واضح، فمساعد السيد ويلسون له



Sydney Paget 1891

رسم سدي باجيت ١٨٩١

قال هولمز وهو يقف عند الزاوية وينظر إلى صف المباني: لننظر جيداً، فأنا أرغب في تدكّر ترتيب المارل الموحودة هنا، فمن هواياتي أن أعرف لندن جيداً. ها هو مورتيمر بائع التبغ، ومتجر الجرائد الصغير، ثم فرع لبنك «المدينة والضواحي»، وبعده اسطعم الساتي ومستودع ماكفيرلين لئد العربات، وهذا يقودنا إلى مجمع الأسى التالي مباشرة، ولهذا فقد حان الوقت لبعض التسلية. لتناول شطيرتين وكوبين من القهوة ثم نطلق إلى أرض الكمد حيث كمن العذوبة والرقّة والانسجام، وحيث لا يوجد عملاء من ذوي الشعر الأحمر يضايقونا بالغازهم.

* * *

كان صديقي موسيقياً متحمساً، حيث لم يكن عارفاً قديراً جداً وحسب بل كان أيضاً مؤلفاً موسيقياً لا يُستهان به، لهذا فقد جلس طوال بعد الظهر في المقعد الأمامي للمسرح تغمره السعادة القصوى، هو يلوح بأصابعه الطويلة النحيلة في تناغم مع الموسيقى، في حين كان وجهه مبتسماً بلطف وعباءة حالمتين على خلاف وجه وعيني هولمز الذي يسعى طوال الوقت حلف المحرمين؛ هولمز القاسي الحاذق الحواس والمحقق الجاني المتأهب دائماً إن كان من الممكن فهم ذلك وفي شخصيته الغريبة تمرص طبيعة

هائل من المشاة المسرعين. كان من الصعب حين نظرنا إلى هذه المتاجر الراقية ومباني العمل المهيبة أن نستوعب أنها تقابل على الجانب الآخر ذلك الميدان الراكد المضمحل الذي تركناه للتو.



Joseph C. mana 1947

سيرة حورف كمد 1947

هولمز المزدوجة نفسها بالتناوب، فدقته المشاهية
وذاؤه يفلان كما اعتقدت دائماً. رد فعل مضاداً
لمزاجه الشاعرى ونزعه التأملية اللذين يسيطران عليه
من حين إلى آخر، حيث يقبله هذا الثقل في طبيعته
من حالة الكسل الشديد إلى حالة من النشاط المستبد.



Sydney Paget 1891

رسم سدي باجيت ١٨٩١

وكما أعرف جيداً فهو لا يكون مهيباً بحق إلا عندما
يطل لأيام متصلة مستريحاً على كرسىه المريح غارقاً
وسط أعماله المرتجلة، وبعدما تملكه فجأة رغبة في
المطاردة وترتفع قدراته التحليلية الرائعة إلى مستوى
التنصر حتى ينظر إليه الناس الذين لا يعرفون أساليبه
شكك كما لو كان يملك من القدرات ما لا يملكه أي
بساد! ولذلك فعندما رأيته بعد ظهر ذلك اليوم وهو
عارق في الموسيقى في قاعة سينت جيمس شعرت أن
في انتظار من يسعى وراءهم وقتاً عصيباً.

عندما خرجنا قال هولمز. لا بد أنك توذ الذهاب
إلى المنزل يا دكتور.

- أجل، سيكون هذا جيداً.

- وأنا سأقوم بعض الأعمال التي قد تستغرق
عدة ساعات، ففضية ميدان كوبورغ خطيرة.

- ولماذا هي خطيرة؟

- توجد نية للقيام بجريمة كبيرة، وعندي من
الأسباب القوية ما يدفعني إلى الاعتقاد بأننا سنصل في
الوقت المناسب لمنعها.

- في أي وقت؟

- الساعة العاشرة ستكون مناسبة تماماً.

- سأكون في شارع بيكر في العاشرة

- جيد جداً، وأريد أن أقول لك -يا دكتور- إنه قد يكون في الأمر بعض الخطر، ولذلك أرجو أن تتكرم وتُحضِر المسدس في جيبك.

ثم لوح بيديه واستدار على عقبه واختفى وسط الزحام.

أنا واثق من أنني لست أكثر غباء من أقراني، ولكن دائماً ما يتنبأني الحرن بسبب إحساسي بغبائي في تعاملتي مع هولمز. فها أنا قد سمعت ما سمعه ورأيت ما رآه، وبالرغم من ذلك فقد كان واضحاً من كلماته أنه لم يعرف فقط ما قد حدث، ولكنه قد عرف أيضاً ما كان على وشك الحدوث! في حين كانت القصة كلها ما زالت بالنسبة إليّ محيرةً وغريبةً.

وقد فكرت في الأمر كله وأما متجه إلى منزلي، بدءاً بالقصة الغريبة لناسخ الموسوعة الأحمر الشعر ووصولاً إلى ريارة ميدان كوبروغ والكلمات المندرة بالسوء التي قالها هولمز قبل أن يتركني.

ما هذه الزيارة الاستكشافية؟ ولماذا يجب عليّ الذهاب مسلّحاً؟ وأين سأنهب؟ وماذا سافعل؟

شعرت من تلميح هولمز أن مساعد سمسار الرهانات ذا الوجه الحليق هو رجل مربع، رجل قد يقوم بلعبة خطيرة. حاولت فك رموزها ولكنني استسلمت في يأس ونحيب الأمر جاناً انتظارك لأن يحمل الليل شرحاً لكل هذه الأسئلة.

كانت الساعة التاسعة والنصف حين غادرت المنزل وعبرت المتنزه ثم شارع أكسفورد، حتى وصلت إلى شارع بيكر فوجدت عريتين تنتظران أدم الباب، وحين دخلت سمعت أصواتاً تصدر من الطابق العلوي، وعندما دخلت إلى عرفة هولمز وحدثه مهمكاً في محادثة مفعمة بالحيوية مع رجلين، وقد عرفت أحدهما حيث كان بيتر جونز وكيل الشرطة الرسمية، في حين كان الآخر طويلاً نحيلاً له وجه كسب ويرتدي قبة رسمية ومعطفاً شديد الأناقة يصل حتى الركبة.

قال هولمز وهو يغلق أزرار معطفه الصوفي لنصير ذي الصدر المصاعف ويأخذ سوط الصيد من فوق الرف: حسناً، لقد اكتمل جمعنا أعتقد أنك تعرف السيد جونز يا واطسون من الشرطة البريطانية؟ دعني أعرفك بالسيد مريودز الذي سيكون رفيقاً اللبّة في مغامرتنا.

قال حونز بطريقته المتعالية: سنقوم بالمطاردة أزواجاً هذه المرة أيضاً معاً يا دكتور، فصديقنا هنا -كما ترى- ماهر في البدء بالمطاردة، وكل ما يحتاجه هو كلب عجوز ليساعده في القبض على الفريسة.

علق السيد مريودر بكآبة: أرجو أن لا نحد في نهاية مطاردتنا قطعة برية.

قال رجل التحزبي بتعال: يمكنك أن تثق بالسيد هولمز يا سيدي، فله أساليبه الخاصة التي أرجو أن لا يمانع في قولها إنها تميل إلى النظرية، وإن كانت رائعة، ولكنه يملك غريزة المحقق، وليس من المبالغ فيه أن نقول إنه قد قام مرة أو مرتين بالتفوق تقريباً على الشرطة الرسمية مثلما حدث في حريمة قتل سولتو وكثر الأغرا.

قال الغريب باحترام: لو أن هذا وأيك يا سيد جونز فلا بأس إذن، وإن كنت أعترف بأني سأفتقد دورة لعب الورق، فهذه هي ليلة الست الأولى التي لا أُلعب فيها الورق منذ سبعة وعشرين عاماً.

قال شيرلوك هولمز: أظن أنك ستجد أن رهانك الليلة سيكون أعلى قيمة من أي رهان قمت به من قبل، وأن اللعب سيكون أكثر إثارة؛ فبالسبة إليك سيكون الرهان بما يقرب من ثلاثين ألف جنيه. وأما

بالسبة إليك يا جونز، فسوف يكون على شخص تمتّ القرض عليه.

- جون كلاي القاتل واللص والمخرب والمزور -
إيه شاب صغير يا سيد مريودر، ولكنه زعيم في مهنته، وأنا أفضل القبض عليه أكثر من أي محرم آخر في لندن، فحون كلاي رحل جدير بالملاحظة حيث كان جده دوقاً ملكياً وذهب هو بنفسه إلى كلية إيتون وأكسفورد، كما أن عقله في مهارة أصابعه، وبالرغم من أننا نرى آثاره في كل اتجاه إلا أننا لا نعرف أبداً أين نجد الرجل نفسه، فقد يسطو على أحد البيوت في إسكتلندا في أسبوع ثم يجمع المال لبناء دار أيتام في كورنوال في الأسبوع الذي يليه! لقد سعت في أثره لسنوات ولم أستطع رؤيته حتى الآن.

قال هولمز: أتمنى أن يحالفني الحظ وأعترف أحدكما بالآخر الليلة. لقد خضت مع السيد كلاي حولة أو اثنتين أيضاً، وأنا أتفق معك على أنه زعيم في مهنته. لقد تجاوزت الساعة العاشرة على أية حال وحين وقت البدء بالعمل، فلو تكرمتم بركوب العربة الأولى فسأركب أنا وواطسون في العربة الثانية

* * *

لم يكن شيرلوك هولمز ميتالاً إلى الحديث خلال

الرحلة الطويلة، بل مال إلى الحلف في عربة الأجرة وهو يندندن بالألحان التي سمعها بعد الظهر، وسارت العربة وهي تفرقع عبر متاهة لانهاية من الشوارع المضاءة حتى وصلنا إلى شارع فارنتون.

علق صديقي قائلاً: لقد اقترنا الآن، إن السيد مريودز مدير لأحد البنوك ومهتم شخصياً بالقضية، كما رأيت أن مصطفى جونز أيضاً إنه ليس شخصاً سيئاً، وإن كان غيباً تماماً في مهته، ولكن لديه فضيلة إيجابية واحدة، فهو شجاع ككلب الصيد وعيد كسرطان البحر حين يشب محالبه في أحد الأشخاص، ها قد وصلنا، إنهما بانتظارنا.

وصلنا إلى نفس الطريق المزدحم الذي كنا فيه بالأمس، فصرخنا عربتي الأجرة وتبعنا إرشادات السيد مريودز حيث سرنا إلى الأسفل عبر ممر ضيق ثم دخلنا من باب جانبي قام بفتحه لنا، وفي الداخل كن رواق صغير في نهايته بوابة حديدية هائلة جداً فتحها أيضاً فقادتنا إلى درجات حجرية ملتوية تنتهي عند بوابة هائلة أخرى، حيث توقف السيد مريودز ليشعل مصباحاً، وبعد ذلك قادنا عبر ممر معتم تفوح منه رائحة الأرض بعد أن فتح بوابة ثالثة، حتى وصلنا إلى قو أو سرداب واسع فيه أكوام من الصاديقي والأفصاص الصحمة

رفع هولمز المصباح عالياً ونظر حوله ثم قال: لا

يمكن اختراقكم من الأعلى بسهولة.

قال السيد مريودز وهو يدق بعصاه على البلاط اندي بغطى الأرضية: ولا من الأسفل أيضاً



Sydney Paget 1891

رسم سديني باجيت ١٨٩١

ثم أضاف: يا للعجب... يا إلهي! إنه يُصدر صوتاً أجوفاً.

قال هولمز بجذّة: يجب حقاً أن أطلب منك التزام الهدوء؛ لقد عرضت الآن نجاح مهمتنا إلى الخطر. أرجو منك أن تتكرم وتجلس على أحد الصناديق ولا تتدخل.

جلس السيد مريودز المهيّب على أحد الصناديق وعلى وجهه علامات الضيق الشديد، في حين نزل هولمز على ركبتيه إلى الأرض وبدأ يفحص الشقوق بين الأحجار بدقة مستخدماً المصباح والعدسة المكبّرة. لم يحتاج إلا إلى ثوانٍ قليلة ثم هبّ واقفاً على قدميه ثانية والعدسة في جيبه وقال: أماننا ساعة على الأقل، فلن نستطيعوا القيام بأي خطوة حتى ينام سمسار الرهانات الطيب في سريره بهدوء، وبعدها لن يضيقوا أي دقيقة لأنهم كلما أسرعوا في إنهاء عملهم أتبع لهم وقت أطول للهروب. أما في الوقت الحاضر فنحس يا دكتور (كما لا بد أنك قد تكهنت) في قوبرع المدينة لأحد بنوك لندن الرئيسية، والسيد مريودز هو مدير فروع البنك كلها، وسوف يشرح لك الأسباب التي تجعل المحرّمين الأكثر حراً في لندن يهتمون بهذا القبر في الوقت الحالي.

همس المدير: إنه ذهبنا الفرنسي، لقد تلقينا

تحذيرات كثيرة تقول بأن من المحتمل أن يحاول أحد سرقة.

- ذهبكم الفرنسي؟

- نعم، لقد واثنا الفرصة منذ بضعة شهور مضت لكي نعرّز مواردنا فافترضنا لهذا الغرض ثلاثين ألف قطعة ذهبية من بنك فرنسا، وقد أصبح من المعروف أننا لم نستخدم المال بعد وأنه ما يزال موجوداً في قنونا، فالصندوق الذي أجلس عليه يحتوي على ألفي قطعة ذهبية معبأة بين طبقات من رقائق القصدير إن مخزوننا من السبائك الذهبية يفوق بكثير في الوقت الحالي ما هو مألوف في مكتب فرع واحد، وقد تخوّف المديرون من هذا الأمر.

أضاف هولمز قائلاً: وكان لهذا الخوف مبرراته القوية. والآن علينا تنظيم خطتنا البسيطة حيث أتوقع أن تصل الأمور إلى ذروتها خلال ساعة، وفي هذه الأثناء يجب علينا أن نضع الغطاء على المصباح الداكن يا سيد مريودز.

- ونجلس في الظلام.

- أخشى ذلك، كنت قد أحضرت مجموعة من ورق اللعب وفكرت أن بإمكاننا تكوين مجموعة حتى تتمكن من لعب دورة الورق التي تعودت عليها

- إذن فقد أغلقنا عليهم كل المنافذ، ويجب علينا أن نجلس الآن وننتظر.

بدا أن الوقت يمرّ ببطء شديد، وقد ظهر فيما بعد أن تلك المدة لم تتعدّ الساعة وربع الساعة، إلّا أنني أحسست وكأن الليل قد أوشك على نهايته وأن الفجر أصبح وشيكاً كانت أطرافي متعبة ومتشنجة لأسّي خشيت من تغيير وضعي، وبالرغم من ذلك فقد كانت أعصابي مشدودة لأقصى حدود التوتر، وكان سمعي مرفقاً لدرجة أنني لم أسمع فقط أنفاس مرافقي بل استطعت تمييز صوت التنفس الأكثر ثقلًا وانخفاضاً لحوزر الضخم من التنفس الضعيف المتقطع لمدير البنك. كنت أستطيع رؤية الأرضية من موقعي حين أنظر من فوق الصندوق، وفجأة لمحت شعاع ضوء! في البداية لم تكن إلّا شرارة لامعة على حجر الأرضية، ثم استطالت لتصبح خطاً أصفر، وبعد ذلك ودون أي تحذير أو صوت انفتح شقّ وظهرت يد! يد بيضاء أخذت تتحسس وسط منطقة الضوء الصغيرة، وقد ظلّت اليد بأصابعها المتفحصة باردة خارج الأرضية لدقيقة أو اثنتين، وبعد ذلك سُحبت فجأة كما ظهرت، وسد الظلام ثانية فيما عدا الشرارة البراقة التي حدّدت الشقّ الموحد بين الأحجار. إلّا أن اختفاءها لم يدم إلّا لحظات، فقد سمعنا صوت

رغم كل شيء، ولكنني أرى أن استعدادات العدو قد وصلت مرحلة بعيدة تحفل من غير الممكن أن نحاطر بوجود إصاءة. وقبل كل شيء يجب أن نختار مواقعنا، فنحن نتعامل مع رجال يتمتعون بالجرأة الشديدة، وبالرغم من أننا سنأخذهم على حين غرة إلا أنهم قد يؤذوننا ما لم نحترس. سأقف خلف هذا الصندوق وعليكم أن تختبئوا خلف تلك المجموعة، وبعد ذلك حين أفاجئهم بإشعال الضوء قوموا بالهجوم عليهم على الفور، ولا تتردد في إطلاق النار عليهم يا واطسون لو بدؤوا بإطلاق النار.

وصعت مسدسي مرفوعاً على الصندوق الخشبي الذي كنت أقيم خلفه في حين أغلق هولمز عطاء المصباح وتركنا في ظلام داس، ظلام لم أختبره من قبل، وبقيت رائحة المعدن لتطمئننا بأن الضوء لم ينطفئ وجاهز للإنارة في أي لحظة.

همس هولمز قائلاً: ليس لديهم إلّا مهرب واحد، وهو العودة عبر المنزل في ميدان كوبورغ أرجو أن تكون قد نفذت ما طلبته منك يا جونز.

- يوجد عدد من رجال الشرطة ينتظرون عند الباب الأمامي للمنزل

كنت أنخيل أن زميلي بخير بالرغم من أنني أرى أنكم
حصلتم على ذيل معطه.

قال هولمز: ينتظره ثلاثة رجال عند الباب.

- حقاً؟ يبدو أنك قد قمت بكل شيء على



Sydney Paget 1891

رسم سيدني باجيت ١٨٩١

تحطّم وانسلاخ، ثم انقلب أحد الأحجار على جانبه
ليترك فتحة مربعة واسعة تسفل حلالها صوء مصباح،
ثم أخذ شخص له وجه فتي متمير يسترق النظر من
فوق الحافة وينظر حوله بحماسة، وبعد ذلك وضع
يديه على جانبي الفتحة ثم أخذ يسحب نفسه حتى
ظهرت كتفاه، ثم خصره، وأخيراً وصع إحدى ركبتيه
على الحافة، وبعد لحظة كان واقفاً على جانب الحفرة
يسحب رفيقاً له رشيقاً قصيراً مثله وله وجه شاحب
وشعر أحمر للغاية.

قال هامساً: المكان خالي تماماً. هل معك العدة
والحقائب؟ يا إلهي! اقفز... آرتشي، اقفز وسأحاول
أن أتبعك.

كان شيرلوك هولمز قد هبّ واقفاً وأمسك
بالدخيل من ياقته، أما الآخر فقد غاص أسفل الحفرة،
ثم سمعت صوت قماش يتمزق حين قبض جونز على
طرف ملابسه. لمع الضوء على أنبوبة مسدّس، ولكن
سوط هولمز انهال على رسغ الرجل فسقط المسدّس
على الأرض الحجرية مرقعاً.

قال هولمز بهدوء: لا فائدة من ذلك يا جون
كلاي؛ ليست لديك فرصة على الإطلاق.

أجاب الآخر برود شديد: هذا ما أراه، وإن

أكمل وجهه. يجب علي أن أهتلك.

أجاب هولمز: وأنا أيضاً أهتلك، حيث كانت فكرة جماعة ذوي الشعر الأحمر جديدة جداً وفعالة.

قال جونز: سترى زميلك ثانية في الحال، فهو أسرع مني في نزول الحفر. انتظر حتى أعدل قبعتي.

علق سجيننا قائلاً حين قرععت الأطواق المعدنية على رصغيه: أرجو أن لا تضع يديك القدرتين عليّ، قد لا تكونان مدركين أن الدم النبيل يسري في عروقي، ولهذا أرجو أن تتكرم وتخطبني دائماً بلقب «سيدي» وبكلمة «أرجوك».

حملق جونز إليه بذهول، وضحك ضحكة مكتومة ثم قال: حسناً، أرجوك يا سيدي أن تصعد إلى الدور العلوي حيث تستطيع أن تستقلّ عربة أجرة لتحمل فخامتك إلى مركز الشرطة؟

قال جون كلاي بجدية: هذا أفضل.

ثم انحنى لنا جميعاً انحناء سريعة وسار في حراسة الشرطي بهدوء.

قال مدير البنك ونحن نسير خلفه خارجين من القبو: حقاً يا سيد هولمز، لا أدري كيف يمكن

للبنك أن يشكرك أو يرّد جميلك، فلا شك في أنك قد اكتشفت وأحيطت بطريقة مُحكمة إحدى أكثر محاولات سرقة البنوك التي أعرفها جرأة وإصراراً.

قال هولمز: لقد كان لي حساب خاص لأصفيه مع السيد جون كلاي، وقد أنفقت القليل من المصاريف على هذا الأمر وأتوقع من البنك أن يقوم بسدادها، وسوى ذلك فإن التجربة الفريدة التي حظيت بها تُعتبر مكافأة شخصية، بالإضافة إلى سماعي لحكاية جماعة ذوي الشعر الأحمر المثيرة للاهتمام.

شرح لي هولمز في ساعات الصباح الأولى ونحن جالسان لاحتساء القهوة في منزلنا بشارع بيكر فقال: أترى يا واطسون؟ كان من الواضح تماماً منذ البداية أن الغرض الوحيد الممكن من إعلان الجماعة الغريب ومن وظيفة نسخ الموسوعة هو إبعاد سمسار الرهانات ذي التفكير المحدود من الطريق لعدة ساعات كل يوم، وإن كانت الطريقة مثيرة للفضول في الحقيقة حتى إن من الصعب اقتراح طريقة أفضل، ولا بدّ أنها خطرت على بال العبقرى جون كلاي بسبب لون شعر شريكه. وهكذا كان مبلغ الجنيهاات الأربعة حافزاً لجذب السمسار، كما أنه لم يكن إلّا مبلغاً نافهاً بالنظر إلى ما يسعون خلفه من آلاف الجنيهاات. وهكذا

فقد وضعوا الإعلان، في حين قام أحد المحتالين بالحصول على مكتب مؤقت وقام الآخر ببحث الرجل ليتقدم إلى الوظيفة المطلوبة، فتمكنا معاً من ضمان غيابه كل صباح. وقد اتضح لي منذ سمعت بأن المساعد قد قبل بالعمل مقابل نصف الأجر أن لديه دافعاً قوياً للحصول على الوظيفة.

- ولكن كيف تمكنت من تخمين دافعه لذلك؟

قال هولمز: لقد كان عمل الرجل صغيراً وليس في المنزل شيء يفسر القيام بمثل هذه التحضيرات المتقنة ومثل هذا الإنفاق، فلا بد أن يكون الأمر خارج المنزل، ولكن ماذا يمكن أن يكون؟ فكّرت في شغف المساعد بالتصوير الضوئي وعاداته بالاختفاء في القبور... القبور! وهنا كان حل هذا اللغز المحير. بعد ذلك قمت بالتحري عن ذلك المساعد الغامض ووجدت أنني أتعامل مع واحد من أكثر المجرمين برودة وجرأة في لندن.

كان يقوم بشيء في القبور، شيء يأخذ ساعات طويلة في اليوم لأسابيع عديدة متصلة، فماذا يمكن أن يكون مرة أخرى؟ لم أستطع التفكير بشيء سوى أنه يقوم بحفر نفق ليصل إلى مبنى آخر، كان هذا آخر ما وصلت إليه حين ذهبنا لزيارة موقع الحدث. وقد أثرت دهشتك عندما قمت بالدق على أرضية الرصيف

بعضاي، وكنت وقتها أنحقّق ما إذا كان القبر يمتدّ أمام المنزل أم خلفه، فاكشفت أنه لا يمتدّ من الأمام، ثم قمت بدق الجرس، وقد فتحه المساعد كما تمتّيت. وبالرغم من وجود بعض المناوشات السابقة بيننا إلا أننا لم نتقابل وجهاً لوجه من قبل، كما أنني بالكاد نظرت إلى وجهه، فقد كنت أرغب في رؤية ركبتي بنطاله، ولا بدّ أنك أنت نفسك قد لاحظت كم كانتا باليتين مجعّدين وملطختين بالبقع. كاننا دليلاً واضحاً على ساعات من الحفر، ولكن كانت النقطة الوحيدة الباقية هي إلى أي مكان كانا يحفرون؟ وعندما أسرعنا حول المنعطف ورأيت فرع البنك محاذياً لمبنى صديقنا عرفت أنني قد حللت مشكلتي. وهكذا فعندما عدت إلى منزلك بعد الحفلة الموسيقية قمتُ بزيارة إدارة سكتلنديارد ورئيس إدارة البنك موضحاً النتيجة التي رأيتها قبل قليل.

سألت: وكيف عرفت أنهما سيقومان بمحاولة السرقة اليوم؟

- حسناً، عندما قاما بإغلاق مقرّ الجماعة كان في ذلك إشارة إلى أنهما لم يعودا يكثران بوجود السيد جابز ويلسون، بمعنى آخر أنهما قد انتهيا من النفق، وكان من الضروري أن يقوموا باستخدامه سريعاً خوفاً من أن يتم اكتشافه أو أن يتم نقل الذهب، وكان يوم

السبت أفضل من أي يوم آخر حيث سيتيح لهما يومين للهروب. لكل هذه الأسباب توقعت قدومهما الليلة.

صحت بإعجاب صادق: لقد قمت بتحليل الأمر بشكل ممتاز، وبالرغم من أنها سلسلة طويلة من الأحداث إلا أن كل حلقة قد وُضعت في مكانها الصحيح.

أجابني وهو يتأهب: لقد أنقذتني من الملل، ولكن يا للخسارة! لقد بدأت أشعر به يملكني من جديد. أقضي حياتي في مجهود متواصل لكي أهرب من روتين الحياة، وهذه القضايا الصغيرة تساعدني على ذلك.

قلت: كما أنك تقوم بالكثير من الأعمال الجيدة للبشرية.

هز كتفيه وقال: حسناً، قد يكون في هذا الأمر بعض الفائدة رغم كل شيء، كما كتب غوستاف فلوبرت ذات يوم: «الإنسان لا يساوي شيئاً، أما الأعمال فتساوي كل شيء».

* * *

-تمت-

صدر من هذه المجموعة

مغامرات شيرلوك هولمز

(١) فضيحة في بوهيميا

(٢) قضية هوية

(٣) عصبة ذوي الشَّعر الأحمر

(٤) لغز وادي بوسكومب

(٥) بذور البريقال الخمس

(٦) ذو الشَّفة الملتوية

(٧) مغامرة الجوهرة الزرقاء

(٨) لغز العصابة الرقطاء

(٩) مغامرة إبهام المهندس

(١٠) مغامرة النبيل الأعزب

(١١) مغامرة تاج الزمرد

(١٢) منزل الأشجار النحاسية

ذكریات شیرلوک هولمز

- (١) ذو الغُرّة الفضية
- (٢) لغز الطرد البريدي
- (٣) لغز الوجه الأصفر
- (٤) مغامرة موظف البورصة
- (٥) سفينة «غلوريا سكوت»
- (٦) وصية عائلة موسغريف
- (٧) لغز بلدة ريغيت
- (٨) مغامرة الرجل الأحذب
- (٩) لغز المريض المقيم
- (١٠) مغامرة المترجم اليوناني
- (١١) وثائق المعاهدة البحرية
- (١٢) المشكلة الأخيرة